تعدد وصف الجنة في القرآن الكريم وأسراره البلاغية

إعداد

أحمد محمد أحمد محمود

ايميل

ahmed898912@yahoo.com

ملخص

اسم الباحث : أحمد محمد أحمد محمود

عنوان البحث : تعدد وصف الجنة في القرآن الكريم وأسراره البلاغية .

مكان البحث : جامعة أسوان ، كلية الآداب.

يتكون البحث من خمسة مباحث تسبقهم مقدمة تحتوى على التمهيد والهدف من الدراسة واهم الدراسات السابقة وتقفوهم خاتمة ضمت أهم النتائج ثم فهرس للمصادر والمراجع .

أما مباحث الدراسة فهم كالتالي:-

- المبحث الأول: وصف الجنة بأنها جنة النعيم .
- المبحث الثاني: وصف الجنة بأنها جنة الخلد.
- المبحث الثالث : وصف الجنة بأنها جنة عالية .
- المبحث الرابع: وصف الجنة بأنها جنة العرض.
- أما المبحث الخامس: وصف الجنة بأنها جنة الغرف .
- أما الخاتمة : فقد شملت أهم نتائج البحث .

Abstract

Researcher name: Ahmed Mohamed Ahmed Mahmoud

The title of the research: The multiplicity of the description of Heaven in the Holy Quran and its rhetorical secrets.

Research place: Aswan University, Faculty of Arts.

The research consists of five topics, which are preceded by an introduction that contains the introduction and purpose of the study and the most important previous studies. A conclusion includes the most important results and then an index of sources and references.

As for the topics of the study, they are as follows:

- The first topic: describing Heaven as a paradise of bliss.
- The second topic: describing paradise as paradise of eternity.
- The third topic: describing Heaven as a high heaven.
- The fourth topic: describing Heaven as a paradise.
- As for the fifth topic: describing Heaven as a room paradise.
- Conclusion: It included the most important results of the research.

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، الذي نستعين به على قضاء حوائج الدنيا والدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آلة وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

ثـــم أما بعـــــد:

فإن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه ، وتماسك كـلماته، وجمله ، وآياته وسوره مبلغاً لا يدانيه كلام آخر مع تنوع مقاصده وافتنانه ، وتلوينه في الموضوع الواحد ، وإنك إذا تأملت القرآن الكريم وجدت منه جسماً واحداً كـاملاً، تتـرابط الأعصـاب والجلود والأغشية بين أجزائه ، ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث الحيـاة والحـس ، على تشابك وتساند بين أعضائه ، فهو وحدة متماسكة، متآلفة ، على حين أنه كثـرة متنوعة فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب ، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صـغيرة ، متآخـذة الأجزاء، متعانقة الآيات ، فبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً سويَّ الخلق ، حسنَ السمت، قرآنا عربياً غير ذي عوج حتى كأنـه هـو سـبيكة واحـدة تأخـذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار.

ولما كان للباحث أجر مجاهد مرابط ، رأيت أن أتلمس بنفسي هذا الترابط والتمـازج ، فإن من يتلمس بذاته يرى ذلك بعينيه ، فينتقل بروحه وعقله من عين اليقـين إلـى حق اليقين ، متيقنا بكل جوارحه ، وما أوتى بأنه كتـاب بعيـد عـن الاضـطراب والاختلاف ؛ لأنه تنزيل العزيز الحكيم، فقد كانت هذه الدراسة في (تعـدد وصـف الجنة في القرآن الكريم وأسراره البلاغية) محاولة لدراسة هـذا السـبيل الموصـل لإدراك أحد أوجه الإعجاز القرآني ، وتلمس بلاغتها ، متخذة من مواضع اخـتلاف الصفة مع الموصوف الواحد في الذكر الحكيم ميداناً للجانب التطبيقـي التحليلـي ، فشواهد هذا الاختلاف مبسوطة انبساط النعم على العباد.

ونستطيع أن نجمل أسباب اختيار هذا الموضوع في الآتي:

١- إبراز جانب من جوانب الإعجاز البياني القرآني ، وهو اختلاف الصفة مع الموصوف الواحد ، إذ من خلاله تتكشف لنا حقائق بيانية عديدة ، كأسرار اختيار المفردات ، والأساليب ، والمقاطع والقصص والابتداءات ، والتذييلات ، لأنها تتواءم مع سياقاتها ، مع مرام النظم الحكيم لها ، والإسهام في الوقوف على أسرار ، ودقائق النظم القرآني الحكيم.

٢- حاجة المكتبة العربية البلاغية إلى مثل هذه الأبحاث ؛ للكشف عن بديع النظم ، وجمال المفردة وعمق المعنى والدلالة ، وحسن الأسلوب داخل هذا التنوع.

٣- الحاجة إلى هذه الدراسة التي تبرز هذا الوجه الإعجازي ، الضاربة جذوره في سور القرآن الكريم وتكشف مدى بلاغته ، ولاشك أن الموضوع قد ظهرت أهميته من خلال تعلقه بالكتاب العزيز، فاكتسب من عظمة هذا الكتاب شرفاً وفضلاً .

٤- ما تناثر في مؤلفات بعض القدماء حول لطائف نعت الموصوف الواحد بصفة هنا وأخرى هناك مع الإشارة إلى ذلك أحياناً.

٥- التطلع إلى أن يكون هذا البحث هو الأساس لمن أراد أن يتتبع بقية الموصوفات المتصفة بالجملة وشبه الجملة في القرآن الكريم ، ويتعرف على أسرار النظم الكريم فيها.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في خمسة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .

أما المقدمة: فتناولت أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له .

أما المبحث الأول : فكان بعنوان : وصف الجنة بالنعيم.

أما المبحث الثاني : فكان بعنوان : وصف الجنة بالخلد .

أما المبحث الثالث : فكان بعنوان : وصف الجنة بالعالية .

أما المبحث الرابع : فكان بعنوان : وصف الجنة بالعرض .

أما المبحث الخامس : فكان بعنوان : وصف الجنة بالغرف .

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي وردت في هذا البحث ،ثم جاء بعد الخاتمة فهرس المصادر والمراجع.

والله اسأل أن يعيذني بعد طول الأمل فيه ، وحسن الظن به من الخيبة والخسران ، آمين آمين.

وقد واجهتني بعض الصعوبات التي منها:

(أ) طبيعة البحث في القرآن الكريم عامة ، وما قد يتبعها من خوف الباحث من تحميل النظم القرآني مالا يحتمل أو تفسير تنوع الصفات مع الموصوف الواحد على مراد الله تعالى.

(ب) دقة مسلك هذا الفن ، وهو اختلاف الصفة مع الموصوف الواحد وغموضه.

ويجدر بنا أن نزيل كلامنا بقول ابن القيم في مقدمة كتابه " روضة المحبين " معرضا بنفسه قائلا:

وما هو ذا الذي قد نصب نفسه هدفا لسهام الراشقين، وغرضا لألسنة الطاعنين، فلقارئه غنمة وعلى مؤلفه غرمة ، والمصنف يهب خطأ المخطئ لإصابته ، وسيئاته لحسناته ، فهذه سنة الله في عباده جزاء وثوابا ، ومن ذا الذى يكون قوله كله سديداً ، وعلمه كله صواباً ؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحي يوحى؟ "[١]

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم " – ص ١٥ط . دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

كلمة الجنة

الجنة وردت في القرآن الكريم موصوفة بعدة صفات، وهي: [نعيم – خلد – عالية – عرض – غرف]

المبحث الأول :- وصف الجنة بأنها جنة نعيم

الناظر في الذكر الحكيم، يتبين له أن كلمة(الجنة) وصفت بـــ(النعيم) في ثلاث آيات من النظم الحكيم، وهي على حسب ترتيب المصحف كالتالي:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الشعراء: ٨٥

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ الواقعة: ٨٩

٣ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ المعارج: ٣٨ (١)

وقبل التعرض لدراسة هذه الآيات، ومعرفة السر الذي من أجله، نعت(الجنة) بكونها:(نعيم)، ينبغي بنا الوقوف على ما قاله أهل العلم، عن معنى اللفظين:(الجنة–النعيم)، حتى يكون القارئ على بينة من دلالة هذين اللفظين، قبل التطواف حول تلك الآيات، والتقاط ثمارها، ومعرفة بعض من مكنون أسرارها.

الجنة: تطلق على الحديقة ذات النخيل والشجر والبستان، وتطلق على دار النعيم في الآخرة، وجمعها: جنان.(٢) والجنة: تطلق على الأرض ذات الشجر والنخل، ولا تسمى جنة حتى يجنها الشجر، أي: يسترها.(٣)

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف–الشيخ/محمد فؤاد عبد الباقي– الباقي– ص٧٠٦–دار الكتب المصرية–القاهرة–١٣٦٤

(٢) المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء التراث – مكتبة الشروق الدولية–ط الرابعة:١٤٢٥ه/٢٠٠٤م

(٣) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، المتوفي سنة٣٢١ه–حققه وقدم له د/رمزي منير بعلبكي–دار العلم للملاين– بيروت–لبنان–ط الأولي:نوفمبر١٩٨٧م

أما (النعيم): والنعمى والنعماء والنعمة كله بمعنى الخفض والدعة والمال، وهو ضد البأساء، وهو الترف والترفه.(١)

وبالنظر في سياق هذه الآيات يتبين أنها وردت متعددة الأغراض والمقاصد، فقد ورد وصف الجنة بالنعيم في سياق الحديث عن السابقون المقربون وأصحاب اليمين في جنات النعيم، والثناء على المصلين المزكين في أرفع الصفات، وتخصيص الله تعالى لهم في الجنة أرفع الدرجات، وجاء ذلك في آيتين من النظم الحكيم، وهما:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ الواقعة: ٨٩

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ المعارج: ٣٨

والمعني: هنا في **آية سورة الواقعة**، أي: إن كان المتوفى من السابقين، من الأزواج الثلاثة، الذين ورد ذكرهم في أول السورة، فله استراحة في الدنيا وعنائها وكدرها، أوله رحمة واسعة من الله تعالى، وله ريحان يتمتع برائحته الطيبة، فهو في هناءة بال، وسعة فضل ورحمة، ومكان عبق بأريج عطر يفوح شذاه، وينتشر عرقه، ومقره في الجنان، يتمتع فيها، ويسعد.

وأما آية سورة المعارج، فهذه الآية إنكار لقولهم، وردع لهم عن طمعهم الكاذب في دخولها بلا إيمان، لأنا خلقناهم من أجل ما يعلمون، وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة، أما من لم يستكملها بذلك، فهو بمعزل عن أن يتبوأ متبوأ الكاملين، فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة، وهم مكبون على الكفر والفسوق، وإنكار البعث، وهو معلوم لهم باعتبار سماعهم عنه من النبي ﷺ(٢)

(١) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج ص ١٠ ، الجزء الرابع

(٢) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ، تفسير القرآن الكريم علي منهاج الأصلين العظيمين الوحيين ، القرآن والسنة الصحيحة على فهم الصحابة والتابعين ، تفسير منهجي

فوصفت الجنة بأنها نعيم في هذه الآيات، لأنها ذات تنعم، فالإضافة لامية، أو لأدنى ملابسة، وهذا إشارة إلى مكان المقربين، بحيث يلزم منه أن يكونوا أصحاب نعيم.(١)

أما الآية الثالثة، والتي وصفت فيها الجنة بأنها نعيم، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ الشعراء: ٨٥

فقد جاءت هذه الآية في سياق ثناء الله تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام، في براءته من أوثان المشركين، وخضوعه الكامل لله رب العالمين، وسؤاله النجاة يوم الدين، وتأييد الله خليله بالبراهين الساطعة، فبهت الذي كفر.

المبحث الثاني :- وصف الجنة بأنها جنة الخلد

الخلد: هو دوام البقاء في دار لا يخرج منها، من: خلد يخلد خلدا وخلودا، أي بقي وأقام بدار الخلد، وهي الآخرة لبقاء أهلها فيها، وخلده الله، وأخلده تخليدا، وقد أخلد الله أهل دار الخلد فيها وخلدهم، وأهل الجنة خالدون مخلدون إلى آخر الأبد، وأخلد الله أهل الجنة إخلادا، لأنها أطلقت دار الخلد على دار الجنة.(٢)

هذا وقد ورد وصف الجنة بكونها خلد في آية واحدة من النظم الحكيم، وهي قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا** ﴾ الفرقان:١٥(٣)

فقهي شامل معاصر : تأليف الأستاذ الدكتور : مأمون حموش – مرجع سابق – ص ٥٨٤ ، الجزء السابع.

(١) ينظر روح المعاني للألوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ص٢٢ / ٤٤

(٢) لسان العرب: لابن منظور – مرجع سابق – ص ١٢٢٥، المجلد الثاني، باب الخاء.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – مرجع سابق – ص ١٩٣.

وقد جاءت هذه الآية في سياق دعوة الكافرين لمقارنة منازل النعيم مع مدارك الجحيم.

والمعنى: قل أيها الرسول الكريم لمن كذبوك في رسالتك، وكفروا بالساعة التي يبعث فيها الناس لرب العالمين، قل لهم: أذلك الذي تقدم من السعير، وأهوالها وخلود الكافرين فيها، وتمنيهم الهلاك والموت ليستريحوا منها، أذلك خير، أم جنة النعيم الخالدة التي وعدها الله للمتقين، الذين صانوا أنفسهم، وجعلوها في وقاية من عذابها الأليم الدائم، بإيمانهم وصلاحهم، كانت لهم هذه الجنة في علم الله تعالى، وفي عده على ألسنة رسله، كانت لهم جزاء على إيمانهم، ومنتهى يصيرون إليه بصلاحهم.(١)

فالأمر بالقول يقتضي مخاطبا قولا له ذلك، فيجوز أن يقصد: قل لهم، أي المشركين، الذين يسمعون الوعيد والتهديد السابق، أذلك خير أم الجنة؟

ووصف الموعودين بأنهم متقون على المحمل الأول، جار على مقتضى الظاهر، وعلى المحمل الثاني، جار على خلاف مقتضى الظاهر، لأن مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير الخطاب، فوجه العدول إلى الإظهار ما يفيده المتقون من العموم للمخاطبين، ومن يجيء بعدهم.

ووصف الجنة هنا بأنها جنة الخلد، إن الجنة وهي اسم الدار الثواب تكون مخلدة، وهذا الوصف قد يكون لبيان صفة الكمال، كما يقال: الله الخالق البارئ، وقد يكون هذا الوصف للتمييز.

فلقد أضيفت الجنة إلى الخلد، فإن كانت نسبة الإضافة معلومة للمدح، فإن المدح يكون بما هو معلوم، وإن لم تكن معلومة فلإفادة خلود الجنة.(٢)

---

(١) تفسير الجامع لأحاكم القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآيات الفرقان للإمام القرطبي ت٦٧١ه تح/الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ومحمد رضوان عرقسوسي-مؤسسة الرسالة- ط الأولي:١٤٢٧ه/٢٠٠٦م

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي-مرجع سابق- ص٢٤٥،الجزء الثامن عشر-دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان

المبحث الثالث :- وصف الجنة بأنها جنة عالية

العالية: العالي من كل شيء أرفعه، ويسمى النصف الذي يلي الأسنان من القناة عالية[١]، وتطلق العالية على من فوق نجد إلى تهامة إلى ما وراء مكة، وتطلق على أعلى الوادي من حيث تنحدر الماء منه.[٢]

هذا وقد ورد وصف الجنة بكونها عالية في آيتين من النظم الحكيم، وهما قوله تعالى:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ الحاقة:٢٢

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ الغاشية: ١٠[٣]

وجاءت هاتين الآيتين في سياق ذكر حال السعداء، فوجوه المؤمنين ناعمة سعيدة، يتقلب أصحابها في الملذات والنعم العديدة في الجنة، فالفرحة العظيمة لأصحاب اليمين، لأنهم سيكونون في الجنة العالية، فيعيش هذا الفريق تلك العيشة الراضية، ويحيا هذه الحياة الهانئة في جنة رفيعة القدر، عظيمة المنزلة، وهي كما جاء في تفسير ابن كثير: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها، هذا والجنة في ذاتها عالية، فهي فوق السماوات، غير أن منازل بعضهم فيها فوق منازل الآخرين، وذلك لتفاوت درجات أهلها، فالعلو إما حسي وإما معنوي، وجمع بينهما أبو حيان، فعلو القدر أن تكون رفيعة في أوصافها ومزاياها، وبما اختصت به من ألوان النعيم، وسميت دار النعيم بالجنة، لأن اسمها مأخوذ من الاجتنان: وهو الستر،

---

(١) المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء التراث – مرجع سابق – ص ٦٥٥ ، حرف العين .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المتوفي سنة٧٧٠ه–تحقيق د/عبدالعظيم الشناوي–دار المعارف–ط الثانية

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – مرجع سابق – ص ١٩٣.

لتكاثف أشجارها، ولتظليلها بالتفاف أغصانها ، [١]و ﴿ فِي ﴾ هنا جاءت للظرفية المجازية، وهي الملابسة .

فوصفت الجنة في الآيات بأنها عالية، وذلك لأن الارتفاع من محاسن الجنات، لأن صاحبها يشرف على جهات من متسع النظر، ولأنه يبدو له كثير من محاسن جنته حين ينظر إليها من أعلاها، أو وسطها، مما لا يلوح لنظره لو كانت جنته في أرض منبسطة، وذلك من زيادة البهجة والمسرة، لأن جمال المناظر من مسرات النفس، ومن النعم، فإن أحسن الجنات ما كان في المرتفعات، فهذا الوصف وهو وصف الجنة بأنها عالية، لزيادة الحسن كما ذكرنا، وقال تعالى:﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾ فذلك أيضا يزيد حسن باطنها، بحسن ما يشاهده الكائن فيها من مناظر، وهذا وصف شامل لحسن موقع الجنة.[٢]

المبحث الرابع :- وصف الجنة بأنها جنة العرض

العرض: هو ما يطرأ ويزول من مرض ونحوه، ويطلق على متاع الدنيا، قل أو كثر، وفي التنزيل العزيز:﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ النور:٣٣، ويقال: نظر إليه من عرض، أي: من جانب، وجمعه: أعراض.[٣]

وقد جاء وصف الجنة بكونها عرضا في آيتين من النظم الحكيم، وهما على حسب ترتيب المصحف كالتالي:

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري–ضبطه وأخرج آياته وأحاديثه /الشيخ زكريا عميران–دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان– ط الأولي:١٤١٦ه/١٩٩٦م

(٢) تفسير الفخر الرازي(المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب): مرجع سابق– ص ١١٢ ، الجزء الثلاثون.

(٣) المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء التراث – مرجع سابق – ص ٦٢٤ ، حرف العين .

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران:١٣٣

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الحديد: ٢١[١]

وبالنظر في سياق هاتين الآيتين، يتبين أنهما وردا في سياق الحث على طلب الجنة، بذكر شجاعة المجاهدين مع أنبيائهم، فذكر ما أصابهم يوم أحد وتعزيتهم، وذم الله الدنيا واللهو واللعب وتفاخر الناس بالزائل الفاني، والحث بالتسابق إلى طلب المغفرة ومنازل أهل المعالي.

والمعنى هنا: لما حذر الله في الآيات السابقة من الأفعال المستتبعة للعقاب، عقبه بالحث على الأفعال المستتبعة للثواب، فيقول – عز وجل – للمؤمنين المجاهدين، الذين آمنوا بالله ورسله عن إخلاص في العقيدة وصدق: بادِرُوا وسابِقُوا إلى كل ما يحقق لكم مغفرة ربكم لذنوبكم، ويوصلكم إلى نيل مرضاته، ودخول جنته الواسعة، وذلك يكون بإقبالكم على طاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وهي جنة كعرض السماوات والأرض، وليس المراد التحديد، وإنما هو كناية عن غاية سعتها، وعظيم رحبها بما هو في تصوير المخاطبين أوسع الأشياء وأرحبها، فخص العرض بالذكر، مع أنه دون الطول، أو ما يقابل الطول، وإذا كان العرض بهذا المقدار، فالطول أكبر، كما هو المعتاد، وهو المبالغة في البسط والسعة، ويطلق العرض أيضا على السعة، أي مساحتها، فهي واسعة كسعة السماوات والأرض، ويجوز أن يراد منه هذا المعنى هنا، أي هيأ الله لعباده الذين يتقون عذابه بامتثال أوامره واجتناب محارمه.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – مرجع سابق – ص ١٩٣.

ووصفت الجنة في الآيات بأن عرضها السماوات والأرض، على طريقة التشبيه البليغ بدليل التصريح بحرف التشبيه، وهو الكاف في الآية الثانية: ﴿كَعَرْضِ﴾ فتشبيه عرض الجنة بعرض السماء والأرض، أي مجموع عرضيهما، لقصد تقريب المشبه بأقصى ما يتصوره الناس في الاتساع، وليس المراد تحديد ذلك العرض، ولا أن الجنة في السماء، حتى يقال: فماذا بقي لمكان جهنم؟

وجملة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ استئناف بياني، لأن ذكر الجنة عقب ذكر النار الموصوفة بأنها أعدت للكافرين، في الآية السابقة لهذه الآية في سورة آل عمران، يثير في نفس السامعين، أن يتعرفوا من الذين أعدت لهم، فإن أريد بالمتقين، أكمل ما يتحقق فيه التقوى، فإعدادها لهم لأنهم أهلها، فضلا وعدلا من الله تعالى، وليكون مقابل قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأريد المتقون في الجمة، فالإعداد لهم باعتبار أنهم مقدرون من أهلها في العاقبة.

المبحث الخامس :- وصف الجنة بأنها جنة الغرف

الغرف: وهو القطع، فيقال: غرف الشيء يغرفه غرفا من غرف، أي قطعه وثناه وقصفه، والناصية جزها، والجلد دبغه بالغرف والماء ونحوه، يبدأ بالمغرفة، أخذه بها، فهو غارف، وجمعه غوارف.(١)

هذا وقد جاء وصف الجنة بكونها غرفا، في آية واحدة من النظم الحكيم، وهي قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ العنكبوت: ٥٨(٢)

(١) المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء التراث – مرجع سابق – ص ٦٨٠ ، حرف الغين.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – مرجع سابق – ص ١٩٣.

وقد جاءت هذه الآية في سياق التبيين والتوضيح أن المؤمنون العاملون للصالحات، يسكنون الغرف يوم القيامة ، تجري من تحتها الأنهار ثوابا لهم، مقابل صبرهم وحسن توكله ، وقدذكرت الآية السابقة لهذه الآية أن الموت سيجري على كل نفس في الدنيا، ثم جاءت هذه الآية بعدها، تنبيه إلى تحقيق الإيمان لإخلاص العبادة، وتحث على الاستزادة والإكثار من عمل الصالحات.

والمعنى: والذين صدقوا بالله وأخلصوا في عبادته، وصدقوا برسوله وأكثروا من عمل الصالحات، وتحصيل الطاعات، لنسكننهم وننزلنهم من الجنة على وجه الإقامة والخلود منازل عالية، وقصورا شامخة، تجري من تحت أشجارها الأنهار لتزيد في بهجتها وجمالها، فيجتمع لهم طيب المنزل، وجمال المنظر، ودوام النعيم، فنعم أجر العاملين، غرف الجنة منزلا، وداراً، أو نعم أجر العاملين أجرهم.(١)

فوصفت الجنة هنا بأنها غرف، وذلك أي أنها علالي وقصورا جليلة، لا قصور فيها، وهذا الوصف للمقابلة، حيث قابل غشيان العذاب الكفار من فوقهم ومن تحت أرجلهم بغشيان النعيم للمؤمنين من فوقهم بالغرف، ومن تحتهم بالأنهار، وهذا من اللطائف.(٢)

---

(١) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ، تفسير القرآن الكريم علي منهاج الأصلين العظيمين الوحيين ، القرآن والسنة الصحيحة على فهم الصحابة والتابعين ، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر : تأليف الأستاذ الدكتور : مأمون حموش: مرجع سابق – ص ١٤، الجزء السادس–ط الأولي١٤٢٨ه/٢٠٠٧م

(٢) تفسير التحرير والتنوير: الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور– مرجع سابق– ص ٢٣، الجزء الحادي والعشرون.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التأملية في إحدى الظواهر القرآنية ، ألا وهى ظاهرة اختلاف الصفة المفردة مع الموصوف الواحد يمكن رصد النتائج الآتية :-

- أكد هذا البحثُ أنَّ القرآنَ الكريمَ قد تعددت صورُ الإعجاز فيه من جهة بلاغته ، وأنَّ هذه الظاهرةَ قد ظهرت في صورٍ عدة في النظم ، منها : اختلاف الصفة المفردة مع الموصوف الواحد٠
- أوضح هذا البحث أنَّ الحديثَ عن هذه الظاهرة لم يكن أمراً جديداً ظهر على يد المحدثين ، وإنما كانت له إشارات كثيرة في مؤلفات القدامى ، وهذا الأمرُ كان بدايةً لفكرة جمع جزء من هذه الظاهرة في بحث مستقل ٠
- جاءت الصفةُ المفردةُ متنوعة مع الموصوف الواحد في النظم القرآني بصورة ملحوظة ، تلفت النظر ، وتسترعى الانتباه٠
- وقف البحثُ كثيراً عند الصفة المختلفة على موصوف واحد في الذكر الحكيم ، مظهراً وجه التلاؤم والتناسب فيها ، ببيان أنَّ كل صفة جاءت في موقعها الأليق بها ، والتي يقتضيها سياق الكلام٠
- يعد هذا البحث ثمرة تضاف إلى ما كتبه العلماء قديما وحديثاً حول إعجاز القرآن الكريم في نظمه ، والتي تميل إلى القول بأن إعجاز القرآن يكمن في بلاغته٠
- تعرض البحث عند تكرار بعض الصفات على موصوف واحد لسر تقديم الصفة الأولى على الثانية.

فهرس المصادر والمراجع

م	المراجع
١	تفسير أبي السعود للإمام أبي السعود ت٩٨٢ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان
٢	تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرين ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
٤	تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس – ١٨٨٤ م
٦	تفسير الفخر الرازي للإمام الرازي ت٦٠٤ه– دار الفكر – ط الأولى : ١٤٠١ هت / ١٩٨١ م
٧	روح المعاني للألوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .
٨	شروح التلخيص– نشر أدب الحوزة – جامعة الكويت .
٩	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٣٦٤ هـ .
١٠	المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء التراث – مكتبة الشروق الدولية – ط الرابعة : ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
١١	معجم لغة الفقهاء : كتاب من الحاسب الآلي – المكتبة الشاملة – قسم معاجم اللغات الأخرى.
١٢	معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ – بتحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .